الفصل الخامس
العزم

ما هو العزم: هو قبول إمضاء الهم الحاصل بما أصابك من سهام الخواطر فتشرع في حشد قوى قلبك وذاتك كلها لتجعل قلبك يقبل ذلك العزم فيقبل معاونتك على إمضائه كما سيلي

قوله تعالى: (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) الأحقاف ٣٥:

ذكر القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن: (قال ابن عباس: ذوو الحزم والصبر، قال مجاهد: هم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام. وهم أصحاب الشرائع) أ. هـ. والمقصود لدينا هنا بيان أن العزم يلزمه صبر وحزم، في القلب أثناء ضبط النية وفي الذات كلها أثناء ضبطها في كل الأزمان الثلاثة لها قبيل وعند وبعد تنفيذ الفعل المطلوب، فالعزم أول مراحل التنفيذ وأول المحطات التي سنحاسب عليها، لأنه مما تكسبه القلوب بتعمده ومحاولة إمضائه بعد قبولها له كما سيلي بيانه ولله الحمد

قوله تعالى: (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما) طه ١١٥:

ذكر القرطبي في تفسير تلك الآية: (المضي على المعتقد في أي شيء كان، وآدم عليه السلام قد كان يعتقد ألا يأكل من الشجرة لكن لما وسوس إليه إبليس لم يعزم على معتقده. والشيء الذي عهد إلى آدم هو ألا يأكل من الشجرة، وأعلم مع ذلك أن إبليس عدو له. واختلف في معنى قوله: (ولم نجد له عزما) فقال ابن عباس وقتادة: لم نجد له صبرًا عن أكل الشجرة، ومواظبة على التزام الأمر. قال النحاس: وكذلك هو في اللغة، يقال: لفلان عزم أي صبر وثبات على التحفظ من المعاصي حتى يسلم منها) أ. هـ. ولن ندخل في التباين فيمن هم أولوا العزم ومعصية آدم عليه السلام ونحوه، إنما مطلبنا هنا هو غياب العزم عن آدم حين نسي العهد وخالف الأمر فهو حينئذ قد غاب عنه العزم على لزوم الطاعة بعدم الأكل من تلك الشجرة، وفي مثل ذلك نقع عند المخالفة أو المعصية أو حتى مجرد التهاون في ضبط النية عند مرحلة العزم، وهي ثالثة مراحل ضبط النية لأن التهاون فيها يؤدي إلى اعتلالها مما يؤدي إلى اعتلال تنفيذ الطاعات أو الوقوع في المعاصي وحينئذ نكون قد نسينا كأبينا وخالفنا ربنا ولم يجد لنا عزما هنالك، فاللهم عونك وعفوك يا رب العالمين

قوله تعالى: (فإذا عزمت فتوكل على الله) آل عمران ١٥٩:

القرطبي، المجلد الثاني في قسمه الثاني في تفسير سورة آل عمران: ص٢٣٧: (قال قتادة: أمر الله تعالى نبيه عليه السلام إذا عزم على أمر أن يمضي فيه ويتوكل على الله، لا على مشاورتهم. والعزم هو الأمر المروي المنقح، وليس ركوب الرأي دون روية عزما) ثم في ص٢٣٨: (فالحزم جودة النظر في الأمر وتنقيحه والحذر من الخطأ فيه، والعزم قصد الإمضاء) أ. هـ

والعزم في هذه الآية هو ما قصدناه كمرحلة من مراحل ضبط النية، بعد الخواطر والهم، والنبي(ص) حين عزم بقلبه وقبل قلبه ما عزم عليه فلقد عقد النية وضبطها على إمضاء أمر ما، فأمره رب العزة بأن يتوكل على الله بقوله سبحانه: (فتوكل على الله): القرطبي ص٢٣٨: (وامتثل هذا النبي(ص) من أمر ربه فقال: (لا ينبغي لنبي يلبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله) أ. هـ. والحديث في البخاري وذكره الحافظ والطبري وصححه الحاكم، وقال هذا سند حسن، والشاهد أن النبي(ص) حين عزم على الخروج للقتال، ولبس سلاحه وهو ولا ريب على الحق في قتال المشركين فلا ينبغي له أن يتراجع، حتى بعد ندم بعض الصحابة وظنوا أنهم قد أكرهوه على القتال، ومن هنا نتعلم من النبي(ص) أن العزم على الخير نفعله او على الشر نتركه، يلزمنا في إمضائه حسن التوكل على الله تعالى، وكذلك عدم الرجوع عما عزمنا عليه، لأن التردد والرجوع عن الحق قد يوقعنا في الإثم، بترك طاعة أو بإتيان معصية، وهذا يقتضي علينا تذكر هذه النصيحة:

اضبط نيتك بسلامة ثم توكل على الله وامض إلى تنفيذ ما نويت عليه
بيقظة وحزم وبرد الغفلة ورد التكاسل، تغنم بإذن الله، وإن تراجعت قد تأثم
ونبين لاحقًا في فصل التوكل مزيدًا عن ذلك بإذن الله تعالى

قوله تعالى: (فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرًا لهم) محمد(ص) ٢١:

ذكر القرطبي في تفسير سورة القتال (سورة محمد) في تلك الآية: (قوله تعالى: (فإذا عزم الأمر) أي جد القتال، أو وجب فرض القتال، كرهوه. فكرهوه جواب (إذا) وهو محذوف. وقيل: المعنى فإذا عزم أصحاب الأمر. (فلو صدقوا الله) أي في الإيمان والجهاد. (لكان خيرًا لهم) من المعصية والمخالفة) أ. هـ

وهو من معاني توكيد الرغبة في امضاء ما همت به النفس بعد نزاع الخواطر لها خلال ضبط النية من جهة، وعند تنفيذ المطلوب فعله بعد ضبطها من جهة أخرى.

obeikandl.com

قوله تعالى: (واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) لقمان ١٧:

أمر لقمان لابنه بلزوم الطاعات الهامة كالصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المحن والمكاره، وقالوا فيه أقوال، كما ذكر القرطبي في الجامع في تفسير تلك الآية: (إن ذلك من عزم الأمور) قال ابن عباس: من حقيقة الإيمان الصبر على المكاره. وقيل: إن إقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الأمور، أي مما عزمه الله وامر به، قاله ابن جريج. ويحتمل أن يريد أن ذلك من مكارم الاخلاق وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة. وقول ابن جريج أصوب) أ. هـ ولا مانع من أن يشمل ذلك كله فكله خير.

والسالك حال عزمه في ضبطه لنيته أو إمضاء ذلك العزم بعد قبوله بالقلب يلزم الخير والتقوى ويترك الفجور، فذلك من عزم الأمور ومن خيرات الحزم في تنفيذها.

قوله تعالى: (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) الشورى ٤٣:

ومثلها مثل الآية السابقة والصبر والمغفرة والصفح عمن أساء إلينا من مكارم الأخلاق ومن مطاليب الدرجات العليا والرتب السيادية في الإيمان ولله الحمد

قوله تعالى: (وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم) ٢٢٧ سورة البقرة:

القرطبي في كتابه الجامع: ص١٠٤ المجلد ٢: (العزيمة تتميم العقد على الشيء) والكلام في سياق بيان الإيلاء ثم الفيء أو التطليق، والعزم كما الهم، عزم كمرحلة ثالثة في ضبط النية، كمن عزم في نفسه على تطليق زوجته، وعزم كمسلوك وفعل يقوم به السالك كمن عزم على تطليقها رغم نصح الناس له بالرجوع، فنفذه وطلقها

قوله تعالى: (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) ٢٣٥ البقرة:

يعني على المرأة في عدتها، حتى تتمها ويمنع النكاح أثناء العدة تحريما ويمنع المواعدة فيها كراهة عند قوم من العلماء وتفصيله عند أهل الفقه، والشاهد أن العزم على عقدة النكاح بعد أن يبلغ الكتاب أجله وتتم عدتها، إن كتمه في نفسه فهذا هو العزم كمرحلة ثالثة بعد الخواطر والهم في ضبط النية، أما إذا تحدث به معها أو مع وليها أو غيرهم على أنه قد عزم العقد عليها بعد أن تنتهي عدتها فهذا هو فعل ومسلوك، فعزم بقلبه ثم قبله قلبه ثم أمضاه بتبليغه لها أو لوليها أو لغيرهم، فالعزم الأول هو مرحلة ثالثة في ضبط النية في زمانها الأول قبيل التنفيذ، والعزم الأخير هو فعل قام به السالك فيكون قد وقع في زمن النية الثاني وهو زمان التنفيذ، ويتبقى عليه في زمانها الثالث، أي بعد التبليغ، ألا يكون قد أضمر شرًا، وألا يفعل إلا خيرًا

قوله تعالى: (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) ١٨٦ آل عمران:

صبر المؤمن على الأذى والمحن ولزومه التقوى هو من عزم الأمور أي من (شدها وصلابتها) القرطبي ص٢٨٥ المجلد الثاني، وهو مدح لأهل الصبر والتقوى فهو صفة لفعلهم من الصبر والتقوى، فلا هو عزم النية ولا عزم الفعل بل صفته.

فصل في التوكل:

قوله تعالى: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه):

في سورة الطلاق، والتوكل كما سيلي من أهم جنود التقوى وضبط النية في أي مسلوك أو فعل نفعله هو دليل واضح على حسن التوكل على الله تعالى، ومن كان الله هو حسبه يحفظه ويهديه ويدفع عنه وينجيه فلا خوف عليه البتة.

ما هو التوكل:

عندنا في التطبيق العملي ونظريتنا في بناء الذات الإنسانية، عرفنا التوكل بأنه:

هو بذل السالك كل ما لديه من جهد واستنفاذ ما لديه من أسباب ثم ترك النتائج على العليم الوهاب، ومن خالف ذلك فهو متواكل وليس بمتوكل، وذكرناه في كتاب المعية مختصرًا، وهنا نوضحه بعض الشيء:

التوكل المحمود:

يتضح جليا في ضبط النية، وخاصة في ضبط العزم ثم السعي لجعل القلب السليم يقبل هذا العزم ويمضيه كما سيلي بيانه، لأن الحمد فيه كمسلوك تسلكه أنه بقلبك تفعله كله أو جله، لأنك قد تستخدم بعض الجوارح في ضبط النية ووضع الخطة لضبط مراحلها كلها في أزمانها الثلاثة كما بيناه، والمقصود في كون التوكل محمودًا، هو أن يسلم السالك قلبه السليم لله بعد أن أخذ بالأسباب وبذل ما يطيق من جهد، فيوقن في قلبه، بأن جهده وأخذه بالأسباب لن يجدي لو شاء الله بعدم حصول ما سعيت إليه كما تحب وتريد، وهذا يقين بالقلب، أنت فيه على قدر ما تبلغ من سلامة الإدراك وسلامة الاعتقاد من مراحلهما العشرة كما بيناها في كتاب يوم وليلة ولب سلامة الإيمان هنا، في التوكل وفي محمودة وفي ضبط النية

وذلك ليس مجاملة لله تعالى، ولا تنازل منك أيها السالك، إنما هو كمال الإيمان وحقيقة الأشياء، لأنك: واحد من هؤلاء الثلاثة:

قد تكون تقدر على السير إلى مكان كذا لفعل كذا عندما نويت فعله.

فإن كنت مؤمنا عال في الإيمان:

تدرك بقلبك حق اليقين أو أكثر منه كعينه أو كمال الكمال فيه (راجع كتابنا يوم وليلة في معية رب البرية)، فتدرك وتعتقد بأنك حتى لو بذلت الجهد وأخذت بالأسباب، فإن ذلك لا يضمن شيئًا، إنما أنت فعلت ما بوسعك، والأمر كله لله، إن شاء قضى بحصول ما سعيت إليه وإلا قضى بعدم حصوله.

وإن كنت مؤمنًا ضعيف الإيمان:

تدرك بقلبك فقط عند درجة علم اليقين المجرد في الإدراك، أو حتى لا تصل إليها بل تعلم وتفهم علما مجردًا وفهما مجردًا، بغير تفعيل بقلبك، لمعاني التوكل السليم وهي بأنك تحاول فعل صاحب الدرجة العليا أعلاه، وهؤلاء القوم نوعان:

النوع المحمود منهم:

هم الذين يسعون لتحسين إدراكهم وبلوغ حق اليقين وما فوقه، وفي الاعتقاد كذلك ويعلمون أنهم مقصرون في طلب بلوغ ذلك الشرف.

النوع السيء منهم:

هم الذين لا يسعون لتحسين الإدراك والاعتقاد لديهم تهاونا، وبعضهم قد يقترب من النوع الآثم التالي، الذي لم يؤمن بحق، كما سيلي بيانه.

وإن كنت تظن أنك مؤمن ولكنك مسلم فقط ولما يدخل الإيمان قلبك:

وهؤلاء لديهم اعتلال في فهم قلوبهم للإيمان، وللتوكل، فيعلم أن الله هو القادر المقتدر الذي يفعل ما يشاء ويمنع ما يشاء ولا معقب لحكمه، سبحانه وتعالى، ولكن علمه هذا وإن فهمه كذلك، فهما علم وفهم مجردان، لا إدراك فيهما ولا اعتقاد، لأنه لو فعل، لكان أحد الاثنين العاليان، لكن هؤلاء تجدهم يظنون أن الأشياء ستحدث ولا داعي لأن يحتسب عند الله قدرته سبحانه على منعها إن شاء، إذا كان المطلوب حصولها، أو حصولها إن شاء إذا كان المطلوب منعها، مثلا كمن يسعى في طلب الشفاء من داء أو مرض ما، فيجري عليه مشية المنع من الله حال الظن بالوقوع أو الوقوع بأمر الله حال الظن بعدم إمكانية الحصول، فيأتي أمر الله تعالى مخالفا لظن هذا المسلم شديد الضعف في الإيمان

التوكل المنقوص:

نقصانه يكون إما في تقصيره في بذل الجهد المطاق والأخذ بالأسباب وهذا من التواكل، وفيه إما جهل بالصواب أو اختلاط للفهم أو اعتلال للفهم .

أو في ضعف اليقين وعدم التسليم بأن الله تعالى يمضي أو يمنع رغم غياب الأسباب أو غيابها على التوالي، والمقبول منه رغم ضعف إيمانه صاحبنا الذي ظن أنه مؤمن، أعلاه، وغير المقبول منه الذي يركن للأسباب ويرفض قدرة الله، كمن سيلي الركون إلى الأسباب والجهد فقط وعدم احتساب قدرة الله على المنع أو الإمضاء:

وهذا لا يفعله مؤمن، بل مثله كمثل قارون، كما في قوله تعالى: (قال إنما أوتيته على علم عندي) القصص ٧٨، والقصة معروفة، وهارون لم يقبل بفضل الله عليه، حتى أن بعض المؤمنين تمنوا مثلما عنده فقالوا: (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم) القصص ٧٩، ولما خسف الله تعالى به وبداره الأرض، كما في قوله تعالى: (فخسفنا به وبداره الأرض) القصص ٨١، علموا أن الله هو القدير المنعم والمنتقم من المتكبرين ومن الظالمين، ولذلك فعلم اليقين ينجي صاحبه كما في قوله تعالى: (قال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا ولا يلقاها إلا الصابرون) القصص ٨٠، أرأيت آمن وعمل صالحًا، فلم يركن إلى الأسباب فقط، وكذلك لم يمتنع عن الأخذ بها، بل آمن وعمل ما يلزم ثم لم ينسب الفضل لنفسه بل إن الفضل كله لله، ولكن من يفهم ويلزم؟، والسالك المؤمن يجتهد في لزوم الخير في ذلك وترك الشر فيه، فيكن أوثق بما عند الله مما هو في يديه، مع بذل الجهد والاخذ بالأسباب فذلك أجمل التوكل فانتبهوا رحمنا الله ورحمكم جميعًا

ما هو التواكل:

هو تقصير السالك في بذل الجهد وفي الأخذ بأسباب النجاح ثم يترك النتائج على الله محتسبًا أو غير محتسب عون الله له والمحمود فيه وإن كان كله غير محمود إنما نقصد الذي قد يغفر له الله تعالى، هو المحتسب، كذلك الرجل الذي قال له النبي(ص): (اعقلها وتوكل) أو كما قال(ص) الحديث، حيث أنه لما ترك دابته كان عنده اختلاط في الفهم فأخطأ حين ظن أن الله سيحفظها له حتى لو لم يعقلها، وقد تحفظ له وقد تضيع، على ما قدره الله له لكن الأوجب له والأفضل وكما أمره النبي(ص) أن يعقلها ويأخذ بالأسباب

أما ذلك الذي يتهاون ولا يأخذ سببًا ولا يبذل جهدًا ولا يسمع نصحًا فهو واهم وقد يأثم، إذا تلفت له أموال أو حصل له ضرر بسبب إهماله فهو كمن ضيع الأمانة.

obeikandl.com

ثمار التوكل:

يغنم المؤمن حسن التوكل محمودة خيرات كثيرة منها:

تحصيل ثواب الفعل سواء نجح في تنفيذه أم لم ينجح

النجاة من إثم عدم التوكل على الله تعالى وبخاصة لمن يقصر في ضبط قلبه كما بيناه، ولكيلا يقع فيما وقع فيه قارون، فالمؤمن لا يقع فيه وإلا فهو ليس بمؤمن

حق التوكل على الله أن تظفر بما تريد وزيادة، حتى بدون تعب بشرط أن تسعى وتستعد لبذل الجهد والأخذ بالأسباب كما بيناه، فهذا واجبك، والله تعالى يعطيك ما شاء كيفما شاء وقتما شاء أو يمنعك كذلك، هنا يظهر جليا لأبصار القلوب المؤمنة حقيقة كمال التوكل على شروط ما بيناه وليس على مزاعم المتواكل كما سيلي:

قال النبي(ص): (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا) أو كما قال (ص) الحديث، وهنا أمران:

الأول:

المتصوفة الذين هذا هو مذهبهم، لا أظنهم يمتنعون عن الأخذ بالأسباب وبذل الجهد لو فقهوا، وهم فقهاء بذلك بإذن الله، لأن من قرب الله قلبه من كمال التوكل باليقين الكامل بأن الله سبحانه وتعالى يقدر أن يفعل بغير أسباب فعنده سبحانه وتعالى قانونه الإلهي في القدرة المطلقة كما قال سبحانه: (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) سورة يس، فهؤلاء هم سادتنا في الإيمان، ولا يمكن ان يقع منهم أحد في اعتلال الفهم بوجوب الأخذ بالأسباب وبذل الجهد فمن وقع فيه فعليه أن يسرع وينتبه ويعود، وعلى أخوته منهم رده إلى الجادة

وأحسبهم والله اعلى وأعلم، سلموا لله كمال التسليم، ولكن لا مفر من الجهد والتسبب

الثاني:

قد يكون الأمر ليس فيه من جهد للجوارح ولا من أسباب نأخذ بها، كمن به ظلم لا حيلة له معه أو مرض عضال لم يجد له الطب حلا أو محبوس في صحراء أو غيرها لا زاد معه ولا مال ونحو ذلك، فهؤلاء هم من يكمل حسن توكلهم بقلوبهم فقط لأنهم انقطعت عنهم الأسباب ولا حيلة لهم بجهد يبذلون، فليس لهم إلا حسن التوكل على الحنان المنان الذي لا يعجزه جهد ولا يعوقه سبب فهو المسبب سبحانه

أضرار التواكل:

يفقدك جميع خيرات وثمار التوكل

ويبعث على التكاسل والرضا بالدونية في الأحوال، والمؤمن عزيز لا يجب أن يهين نفسه، فلقد قال تعالى: (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) آل عمران، واليد العليا خير من اليد السفلى، والتواكل هو حال ضعفاء الإيمان الذين جل عملهم رجاء وطمع وتمني بغير بذل جهد ولا أخذ بالأسباب وهو مذموم لا ريب

ما هو دوره في سلامة ضبط النية:

التوكل من أهم جنود التقوى، والنية في الحقيقة ما هي إلا توكل على الله جل وعز، ألا ترى قلب المؤمن السليم، يجتهد في ضبط نياته لأعمال عديدة في أوقات يسيرة ومتداخلة، مترابطة أحيانا ومتعارضة أحيانا أكثر منها، تضربه سهام الخواطر وتتنازعه رغبات وهمات النفس ويجتهد في ضبط عزمه على مراد الله ورسوله (ص) فينجح وحزب التقوى من ورائه مرات ويهزمهم حزب الفجور مرات وأنت عند محصلة أعمالك في تلك المعارك الذاتية،

فهل يعقل عاقل بغير وجوب التوكل ويقر بخيراته وفوائده، لأن الله تعالى هو ملك القلوب يصرفها كيف يشاء، وأهم دافع لصرفها بإذن الله إلى التقوى هو أن يرى الله في قلبك حسن السعي لضبط النية وحسن التوكل وحسن لزوم الشغل والجهد والأخذ بالأسباب، مع التسليم بأن الأمر كله لله، فالتوكل هو واضح الحضور في ضبط النية

ضبط العزم عند النواضر حال ضبط النية:

ونأخذ المجتهد مثالنا في بيان ضبط العزم كمرحلة ثالثة في ضبط النية، وعند النواضر العزم ناضر، ونبين فيه ثلاثة مسائل:

الأولى: كيف يقوم القلب السليم بضبط العزم المراد به تفعيل الهمات بعد الخواطر:

لابد لنا من توضيح ذلك الدور جليا، وهو يرتكز على محورين:

المحور الأول: دعم اليقظة والحزم ولزوم العزم الذي فيه طاعة:

تلك الثلاثة هي أهم آليات لزوم كل تقوى وخير في الذات، ولها تفاصيل، ولكن أهم الأمور على الإطلاق في نجاح المؤمن

في حياته كلها هو سلامة ضبط العزم، ولذلك قال النبي(ص): (إنما الأعمال بالنيات) الحديث، وكما نرى فإن العزم هو قلب النية وأهم شيء فيها، فلا قيمة للخواطر ولا للهم إذا غاب العزم أو اعتل.

أهمية العزم في دعم ثلاثة التقوى:

العزم يدعم اليقظة:

وكما بينا في جدول الإخلاص أن الإخلاص مقياس سلامة النية فهي تسلم على قدر ما في قلبك من إخلاص لله تعالى، فلا تقصر في بذل كل ما تطيق من جهد لترضيه جل وعز، وأن النية هي مقياس سلامة اليقظة وأن اليقظة هي مقياس سلامة القلب فتجد أن العزم الذي هو قلب النية وأثقل شيء فيها، يدعم حتما سلامة اليقظة، لأن القلب لن يبقى يقظانا إلا إذا كانت نيته قد ضبطت ضبطا سليما، وما حصول استبقاء العزم كمرحلة في ضبط النية أثناء وبعد تنفيذ الفعل إلا دليل عملي على أن النية هي مشكاة اليقظة والعزم هو وقود تلك المشكاة، وكلما صح العزم سلمت النية وبقيت اليقظة في قلبك يا مؤمن، والقلب السليم لو لم يغفل فلن يهزم أبدًا، لأنه يلجأ دومًا إلى ربه حسن اللجوء فينصره الله تعالى على حزب الفجور وجنود إبليس أجمعين

العزم يدعم الحزم:

من جمال بحوث الذات الإنسانية والتطبيق العملي للمسلك، دقتها وترابطها وتعدد مسائلها وتشابهها بحيث تغلبك حتى لو كنت انت من قمت ببحثها، إذا غفل قلبك أو ضعف حزمك حين يعتل ويقل عزمك، فيضل فهمك وتقع في المخالفات وسبحان الخلاق العليم، فتعبك وجهدك في ضبط العزم طوال أزمان ضبط النية الثلاثة كما هو معلوم، يغذي الحزم فلا يحصل التكاسل أو التغافل، فتقع المخالفة والمعاصي

ولو نظرنا في قلبك أخي المجتهد وأنت تضبط عزم قلبك على التصدق بغير اعتلال

الزمن الأول: نجحت فيه وسلمت ضبط عزمك بقلبك فلم تلتفت إلى خواطر الشر المباشرة منها أو خواطر النفي الخبيثة، كما تقدم، وأمضيت همك بالتقوى وتركت هِمات الفجور، وبذلك سلم لديك اهم جزء في ضبط الثلث الأول من النية نعني قبيل بدء تنفيذ العمل الذي نويت عليه، وتظل ذو عزم قوي حتى تدخل في الزمن الثاني

الزمن الثاني: لا زلت تنجح فيه، ولكن إذا تهاونت في ضبط النية أثناء التنفيذ لكي تستبقي عزمك حاضرًا وسليمًا فسوف يضعف عزمك وتعتل نيتك وتضعف طاعتك

الزمن الثالث: قد تغفل بعد أن نجحت لا في النية ثم التنفيذ وقد تم العمل كما يرضي ربنا، فلو نسيت أو نسيت (بفعل القرين وأهل كفة الشر يشغلونك عنه) فيضعف العزم وبالتالي يضعف الحزم ويختل كما ستختل كل آليات لزوم الطاعة

العزم يدعم لزوم الطاعة والبقاء عليه وعدم التهاون أو الترك:

كما بيناه لو لم تبق سلامة ضبط نيتك قبيل وأثناء وبعد تنفيذ المسلوك فسوف تضعف الطاعة ويختل تنفيذها، فتقصر في أعمال تلك الطاعة أو تدخل عليها منا أو أذى أو إثما، ولذلك يتضح دور العزم الهام جدًا في دعم واستبقاء لزوم الطاعة

المحور الثاني: مقاومة الغفلة والتكاسل ومقاومة لزوم العزم الذي فيه مخالفة:

سبحان الله ربي، فأنت تجد أن ضبط النية يقف حائلا بين قلبك السليم وحزب التقوى يدعمهم، ضد قلبك المعتل وحزب الفجور يحاربهم، فهل نتعلم ألا نمل ولا نكل من الاجتهاد في ضبط النية في أزمانها الثلاثة، فعزمك السليم القوي يحارب الغفلة فهو ينير لجنود اليقظة طريقهم ويكشف لهم زيف خواطر وهمات الفجور ويحارب التكاسل فكلما جاءت نفسك تتكاسل ذكرك العزم بخطورة التكاسل وبفضل وثمار الحزم، وذلك كله يصب ويدعم لزومك لطاعة ويمنعك من الوقوع في المخالفة والمعصية، فيا الله ما أجمل ضبط النية وما أكثر ثمار سلامتها، اللهم لك الحمد

الثانية: كيف يقوم القلب المعتل بمحاربة جهد القلب السليم في ضبط العزم:

على عكس ما يفعل الشطر السليم من قلبك يا مؤمن يفعل الشطر المعتل، فيقاوم الخير والتقوى، على محورين كذلك:

المحور الأول: دعم الغفلة والتكاسل ولزوم المخالفة والمعصية:

هنا يجب أن نتعلم أن دعم الغفلة لا يكون بالتغافل، بل يكون بمحاربة اليقظة وأخواتها، نعني دعائم التقوى ولزوم الطاعة كضبط النية وخاصة العزم ثم دعائم آليات حصول الطاعة كالحزم ثم استبقاء العض بالنواجز على لزوم الطاعة، ولذلك لا يظن أحد من المؤمنين أن غفلة قلبه تحصل مصادفة أو عبثا، بل إن حكام الفجور الأربعة وجيوشهم السبعة وجنودهم أجمعين يسعون لإغفال القلب السليم

وقد نسأل: أيهما أخطر؟ تحقيق الغفلة أم تحقيق التكاسل؟ وكليهما خطير، ولكن إذا كان قلبك السليم غافلاً، فلا يلزم طاعة ولا يرد معصية، فعلام نجعله يتكاسل؟ إنه نائم أصلا فهو في عين التكاسل، فالغفلة أخطر هنا، ونذكر ثلاثة أحوال فيها:

الأولى: الغفلة: فيها يغيب عن القلب الوعي واليقظة والحضور لحظة ما في عمل ما وقد يكون طاعة فينقص أجرك فيها وقد تغفل وانت في معصية فتزداد إثما وفجورًا أو يصرفك الله عنها، وأشهرها السهو في الصلاة، كما فصلناه في كتابنا يوم وليلة

الثانية: التغافل: فيها يكون القلب واع لكنه يتظاهر بانه غافل، وهذا يكون من كلا شطري القلب كما يلي:

التغافل عند القلب السليم:

يحصل منه التغافل عندما يجد من حزب الفجور هجمات قوية ولا يستطيع ردها بقوة وحزم فيتغافل عنها ويشغل نفسه بأمور تصرفه عنها حتى يصرفها الله عنه ويحصل ذلك منه في أحوال أخرى كثيرة، كترك المراء والإعراض عن الجاهلين

التغافل عند القلب المعتل:

يحصل كثيرًا جدًا من قلوبنا المعتلة التغافل، فقلبك المعتل يتغافل عما يجرك إليه من آثام ومعاصي، وكلما تعجبت أنت كيف أنك انت قلبي؟ وكيف أنك تريد أن تهلكني بالمعاصي واكل الحرام وفعل الحرام؟ وهو يتغافل ولا يجادلك لعلمه أنه على باطل وأنك على الحق، وكذلك يتغافل عن مناداة قلبك السليم له وكذلك قوى التقوى والخير له ولبقية قوى الفجور بالكف والارتداد ولكنهم يتغافلون وكأنهم لا يسمعون، ونحوه

الثالثة: الإغفال: هذا يكون في أثناء المعارك الذاتية ويحصل من الجانبين فيريد حزب التقوى إغفال جنود الفجور وجنود الفجور تريد إغفال جنود التقوى كذلك ويمكن أن يشغل أحدهم الآخر بأمر ليس ذو قيمة ليصرفه عما له قيمة طلبا لنصرة حزبه، على الحزب الآخر، وقد يعاقب رب العالمين أحد المسرفين بأن يغفل قلبه عن ذكر الله، كما في قوله تعالى: (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) سورة الكهف، وفي الحقيقة لا ينجح أحد شطري القلب في هزيمة الآخر إلا بإيقاعه في الإغفال، أو التغافل أو الغفلة، فيا رب عونك وعفوك يا كريم.

وبذلك يتضح فعل القلب المعتل في دعم الغفلة والتكاسل ومن ثم المخالفة والمعصية.

المحور الثاني: محاربة اليقظة والحزم ولزوم الطاعة:

المعارك الذاتية تجري فيها اليقظة جريا تضرب جنود الفجور وتكشفهم لجنود التقوى، والحزم يقصمهم قصما، فلا يقدروا أن يعترضوه، والعزم هو وقود ذلك كله كما بيناه، واستبقاء لزوم الطاعة هو بتحقيق لوازم استبقاء ضبط النية أثناء وبعد تنفيذ العمل كما بيناه، وجميع تلك العمليات مكشوفة أفعالها لحزب الفجور فيبدؤون في محاربتها جميعا، فينالون منها على أقدار تتحدد تبعا لموازين القوى وقوانين المعارك الذاتية كما أشرنا في كتاب المعية وهنا ونفصل في الموسوعات بإذن الله

الثالثة: بعض أحوال النواضر في جمال ضبطهم لنياتهم في مرحلة العزم:

ونعود هنا لنبي الله يوسف عليه السلام لنتعلم معا جمال ضبط العزم على الطاعة ورد الهم والخواطر الحاثة على المعصية في أصعب فتنة يمكن أن يتعرض لها مؤمن، إذا دعته امرأة جميلة وذات منصب وقالت هيت لك وقد غلقت الأبواب، الله أكبر، من ثبتك يا يوسف؟ هو الله، فأين الجمال في هذا القلب الناضر؟:

رده للهم والخواطر بقوة وثبات:

كما بيناه، حين ضربت قلبه الخواطر التي فرضتها عليه امرأة العزيز تلميحًا وتصريحًا وتمهيدًا وكشفًا وإغراءً، ونحوه، وتولدت لتلك الخواطر همات ورغبات لا راد لها، إلا الله، فلما رأى برهان ربه فقلبه سليم وهو من المقربين فالمؤمن يرى الأمور على حقيقتها، وليس على ما يزيفه الشيطان ويزينه للجاهلين والآثمين، وقلب المؤمن لا يحب الحرام حتى لو كان جميلًا ومرغوبًا، فيوسف لم يرغب ولم يطلب وهو تقي فلما عرضت عليه نفسها رأى حقيقة الأمور، فرد همه ورد خواطره، و (قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي)، ومن جماله أنه لما وقع منها ذلك رده بقوة المؤمن ثم انصرف بقلبه عما حصل من هم وخواطر إلى استعراض براهين ربه التي تساعده في الانصراف عنها وعما تدعوه إليه، فربه أحسن مثواه وهو يراه وهو لا يفلح الظالمين، وهو سبحانه معاذه ومنجاته من تلك الفتنة العظيمة، فما أجمل قلبه عليه السلام، ونجد هنا أن صحة عزمه على لزوم الطاعة ويقظة قلبه وحزمه في رد الهم والخواطر واستبقاء الرفض والنهر، فاستمد قوة كبيرة بفضل الله فدفعها عنه واستبقها إلى الباب فجرت خلفه وقد قميصه من دبر كما هو معلوم، فلله الحمد

<u>اعترافه بصعوبة الفتنة وأن عدم صرفها عنه سوف يوقعه فيها:</u>

من جمال القلب المؤمن ألا يعاند بالباطل ولا يكابر على غير حق، فلا تزعم أنك قوي الإيمان ولن تقع في الفاحشة حتى لو بقيت في خلوة مع من لا تحل لك، لأنك إذا وقعت كنت من الهالكين، ويوسف عليه السلام قال (رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن) وحتى لو كنت كذلك قوى ولن يهزمنك النساء، فتأدب والزم أمر الله ورسوله بغض البصر وعدم الخلوة غير الشرعية، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وعلينا أن نتعلم من يوسف الصديق فانتهوا

وهنا يوسف عليه السلام قد استبقى عزمه وسلامة ضبط نيته بعد انتهاء الموقف العصيب، ثم بعد إخراجها إياه للنسوة اللاتي قطعن أيديهن، وحتى بعد أن هددوه بالسجن المهانة، فبقي على عزمه على الحق والعفة واختار السجن هربا من الزنا ولذلك نتعلم ألا نوقف العزم وضبط النية أبدًا، بل نضبطه ونستبقيه ما نطيق دائما.

ضبط العزم عند البواسر حال ضبط النية:

وعند البواسر تجد العزم واهن عن الحق منحرف إلى الباطل وإلى الفجور ونبين فيه كذلك ثلاثة مسائل:

وقبل ذلك نريد بيان الفرق بين العزم والحزم:

العزم في التطبيق العملي هو ثالث مراحل ضبط النية:

بعد الخواطر ثم الهم يأت العزم ثم القبول بالقلب لذلك العزم، وفي الحقيقة العزم هو كل النية وما يسبقه أو يليه هو ساع إليه أو داعم له، كما بينا وسنبين في هذا الكتاب

الحزم في التطبيق العملي هو ثاني مراحل آليات لزوم الطاعة:

كما بينا في كتابنا يوم وليلة وغيره، أن المزدوجات ليست هي ثلاثة أزواج متقابلة تحدد لزومك للطاعة أو وقوعك في المعصية على قدر ما فيها من سلامة أو اعتلال.

وهي اليقظة وتقابلها الغفلة، ثم الحزم ويقابله التكاسل، ثم لزوم الطاعة أو لزوم المخالفة، ويجب أن نتعلم أن لزوم المعاصي كذلك فيه عزم عليها وهو اعتلال النية حين يضبط المؤمن نيته على الشر والفجور وهو ليس بمؤمن حينئذ، وفيه كذلك حزم في تنفيذها، غير أننا كطلاب لمعية رب البرية، لا نعتبر العزم على الشر إلا غفلة للقلوب، ولا نعتبر الحزم في تنفيذ الفجور والمعاصي إلا ضعفًا في قلوبنا، إذ لا ينبغي لمؤمن أن يعزم إلا على التقوى والخيرات ولا أن يحزم إلا فيها كذلك

ولذلك نحن معشر المؤمنين لا نفرح أبدًا ولا نفتخر ولا نجاهر بالمعاصي، بل إننا لا نعلن ونظهر طاعاتنا إلا ما لا يمكن لنا إخفاؤه منها، لأننا نحب أن نفعل كل ما نفعل لوجه ربنا، لا أن نرائي أو نبتغي غير وجه الله تعالى، ولذلك تجد المؤمن سليم الفطرة إذا واقع إثما يحيك في صدره ويخاف أن يطلع عليه الناس ويكره ذلك، أما المجاهر المفاخر بالمعاصي فهذا آثم في خطر عظيم إذا لم يتب سريعا ويعود للجادة

ونبين الآن الثلاثة مسائل في ضبط العزم عند البواسر:

الأولى: دور القلب السليم في منع العزم على الفجور والشر عند ضبط النية:

قد تقدم ذلك وبيناه، وعليك أخي المؤمن حث قلبك السليم على المداومة على ذلك لأن أهل كفة الشر وحزب الفجور في ذاتك لن يتركوك بل يريدون إضلالك دائمًا.

الثانية: دور القلب المعتل في دفع العزم على الفجور وإمضائه عند ضبط النية:

هنا الوجه الأخطر لعملة التطبيق العملي للمسلك الحنيف، فعمل القلب المعتل في دفع العزم على الفجور وتعطيل العزم على التقوى عمل خطير وذو آثار فارقة تسبب وقوعنا في جميع الآثام التي نقع فيها وتقصيرنا في جميع الطاعات التي نقصر عنها أو نتركها تهاونا وإثمًا، وجل عمل القلب المعتل هو في إعلال ضبط النية وبخاصة مرحلة العزم في أزمانها الثلاثة، وقد تقدم كذلك ولله الحمد

الثالثة: بعض أحوال البواسر في سوء عزمهم واعتلال نياتهم:

البواسر هم من ضعفاء الإيمان ونبين مثال أحدهم يريد التصدق لكنه باسر وجهه على قلبه ران، فتعالوا نرى سوء نيته وسوء عزمه:

يتصدق لغير وجه ربه جل وعز:

كما كان ابتغاء وجه الله تعالى في كل ما نفعل هو جمال في الوجه ونور فيه ونور في القلب، فإن ابتغاء غير وجهه سبحانه وتعالى قبح في الفعل وظلمة في الوجه وفي القلب كذلك، والباسر الخاسر الذي طلب غير وجه ربه وعزم بقلبه المعتل الأثيم على ذلك، ما أقبحه وجهًا وقلبًا وحالًا، مهما كان ظاهر وجهه وشكله جميل ولباسه جميل ونحو ذلك، فالله تعالى لا ينظر إلى الصور ولكن إلى القلوب.

ولست أدري كيف أن مؤمنا يقبل على نفسه وقلبه وذاته أن يكون بهذا القبح والسوء عند ربه، قطعا هو مؤمن في غاية الضعف في رتب الإيمان ولا مخرج له إلا بأن يسارع في التوبة الاستغفار والعودة إلى العزيز الغفار.

يتصدق ويضمر الشر للفقير والمسكين:

كأن يكون له في بعض نساء الفقير مطمعًا أو يكون الفقير في وظيفة يلزمه منها شيء ونحوه، وقد تقدم بيانه، وهذا قبح في الفعل وظلمة في الوجه ورأن على القلب.

والقلب المعتل وكما بينا، يتغافل عن الحق والخير ويغافل القلب السليم وحزب التقوى ويحاول أن يخدعهم، ويعزم

ولا حول ولا قوة إلا بالله، على السوء وعلى الفجور، لا يخش الله ولا يخاف يوم الحساب، ويؤذه القرين وجنود إبليس من شياطين الإنس والجن إلى ذلك الشر أذى، وهذا هو عمل القلب المعتل، فعلله وأمراضه تجعله يحيد عن الجادة ويطلب المعصية، والمؤمن عمله طوال حياته الدنيا، أن يحاول علاج علل قلبه واسترداد ما يمكن من شطره المعتل إلى حوزة القلب السليم، فيغنم وينعم في الدنيا والآخرة، بإذن رب العالمين.

obeikandl.com